

الفصل الثاني

الاهتمام بتعلم لغة أجنبية أو أكثر من اللغات الحية

أشرنا في ثنايا كلامنا في الفصل السابق أن التركيز على اللغة العربية واتخاذها لغة للعلم والحضارة في نهضتنا المنشودة لا يلغى الاهتمام بتعلم اللغات الحية الأخرى ، وذلك لأن تعلمها ضرورة من ضرورات التقدم والإثراء المعرفي . وحتى نعطي المسألة بعض حقها من الشرح علينا أن نستعرض آراء بعض أصحاب الخبرة الميدانية من علمائنا الكرام .

عُقِدَ في عمان سنة ١٩٧٤ م « اجتماع خبراء في تعليم اللغة العربية لتحديد مشكلاتها وترتيب أولياتها ، واقتراح خطط لبحثها » ، وقد أشرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الإدارة التربوية - على هذا الاجتماع ، وخرج المجتمعون بتقرير نهائي وتوصيات . ثم جاء الدكتور الناعوري^(١) بعد عشر سنوات من إصدار هذا التقرير وتلك التوصيات ليتفحص الأمر ويرى هل من صدقٍ عملي لها ، أم أنها لا تزال أفكار نظرية بعيدة عن حقل التطبيق . قسّم الدكتور الناعوري تقرير ذلك الاجتماع إلى خطوات ، وجاء دور الخطوة الثانية منها وهي التي تتعلق بتدريس اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الابتدائي ، فيورد النص التالي من التقرير : إن اللغة الأجنبية تزامم اللغة العربية في مدارس بعض الدول منذ الصف الأول في المرحلة الابتدائية ، وفي بعضها في الصف الثالث أو الرابع أو الخامس ، على حين تُرجّحها أكثر الدول إلى المرحلة الإعدادية (المتوسطة) ... ثم يتحدث التقرير وراء ذلك مباشرة عن (ازدواج التعليم في بعض الدول) .

يعلق الدكتور الناعوري على هذا النص بقوله : أنا أؤمن بأنه لا بد للطالب العربي من أن يكون عازفاً بـلغة أجنبية ، إلى جانب إتقانه للغة العربية ، ولست أرى مانعاً من أن يبدأ تدريس لغة أجنبية ابتداءً من الصف الثالث من المرحلة الابتدائية ، على أن لا يكون في ذلك أي لون من ألوان (المزاحمة للغة العربية) ، فاللغة الأجنبية تُدرّس كلغة فقط ،

(١) الناعوري (د / عيسى) : لماذا تتجمد لغتنا وتزدهر لغات الآخرين ؟! من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة ؟ . الدوحة (٩٩) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

وأما مواد الدراسة الأخرى فكلها تدرس بالعربية وحدها ، لكي يتمكن الطالب العربي من إتقان لغته أولاً .

وإذا ارتقينا من هذه المراحل التعليمية إلى المرحلة الجامعية ثم إلى مجالات البحوث العلمية ، نجد الدكتور فاضل الطائي يدعو بالحجة والإقناع العلمي إلى إتقان لغة أو اثنتين من اللغات الأجنبية الحية بجوار إتقان وممارسة استخدام اللغة العربية الأم ، وقد شاركه الرأي نفر من علمائنا كالدكتور منتصر والدكتور شاهين والدكتور صيني والدكتور بدوى وغيرهم .

وللدكتور الطائي (وهو كيميائي عراقي ومجمعي عراقي)^(١) وجهة نظر تنص على أن يبدأ التدريس في السنوات الأولى للمرحلة الدراسية الجامعية بلغة أجنبية حية ، ليسهل على الطالب مراجعة المصادر بتلك اللغة العلمية الأجنبية ، وبذلك نضمن قابليته على التتبع باللغة الأجنبية والإفادة من المصادر العديدة والمجلات العلمية ، فإذا حدث ذلك فلا بأس من تدريس العلوم في السنوات الأخيرة من المرحلة الجامعية باللغة العربية ، على أن تكون المصادر أول الأمر في اللغة الأجنبية التي يحسنها الطالب وذلك للأسباب التالية : ... وقد شرح جملة الأسباب التالية : عدم توفر المصادر العلمية باللغة العربية - عدم وجود مجالات علمية دورية تصدر باللغة العربية - اللغة الأجنبية الحية ضرورية لثمة الترجمة والنشر - رفع المستوى العلمي في الجامعات العربية .

إلا أن في مصر وفي جامعة القاهرة بالذات كان التدريس للعلوم يتم على عكس وجهة النظر هذه ، ففي السنوات الأولى كُنّا ندرس المواد العلمية باللغة العربية ، ثم اختفت العربية في السنوات الأخيرة لتحل محلها الإنجليزية ، وأظن أن الإنجليزية قد اكتسحت السنوات كلها الآن .

وخلاصة القول : أنه لابد لطالب العلم أن يجيد إحدى اللغات الأجنبية الحية على الأقل ليتسنى له النمو العقلي في حقل تخصصه والإسهام في نقل الكتب العلمية الرئيسية إلى اللغة العربية ، والأمر يزداد إلحاحاً إذا وجهنا الكلام إلى أعضاء هيئات التدريس بالجامعات العربية والكلليات العملية بها على وجه الخصوص .

(١) الطائي (د / فاضل) : غات علمية . مطبوعات الجمع العلمي العراقي . ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .

يقول الدكتور التهامي نقرة - الأستاذ بكلية الشريعة في تونس - إذا كان تعلم اللغات الحية ضرورياً لتعلم العلوم العصرية وإتقانها وترجمتها ، فإن تبدل اللغة كتبدل الأنواب المختلفة ، لا يكون سبباً في تغيير ملامح العصر ... وقد صبّ الفرنسي مثلاً نتاج العصر في لغته الفرنسية ، فصار بذلك معاصراً لزمانه ، وكذلك فعل الإيطالي والألماني والروسي والياباني . فلا مبرر إذاً لمعارضة بعد المتحذلقين ترجمة العلوم العصرية ، ظناً منهم بأن هذه العلوم لا يليق بها إلا الثوب الإنجليزي أو الفرنسي أو غيرهما من لغات الأمم المتقدمة ... إنه لا يحق لنا الحديث عن وجودنا في عصرنا قبل أن نجد هذا العصر بكل مقوماته قد نطق بلسان عربي ، وبقدر ما نسكب مادة العصر في إنائنا اللغوي يكون نصيبنا من المعاصرة مع احتفاظنا بأصالتنا . ومن الطبيعي أن القدرة على ترجمة العلوم العصرية لا يمكن أن تتم إلا إذا أتقن أبناء العربية اللغات العالمية الأخرى أو على الأقل لغات الدول المتقدمة تقنياً حالياً ، ومن الطبيعي أيضاً أن هذا الإتقان لا يكون على الوجه السليم إلا إذا روعي ذلك لابن العربية منذ نعومة أظفاره .

ويقترح الدكتور شحادة الخوري^(١) خطة يمكن تطبيقها في التعليم الإعدادي والثانوي والتعليم العالي على الأسس التالية :

- ١ - نمكّن الطالب من أن يتعلم لغة أجنبية واحدة على الأقل في المدارس الإعدادية والثانوية .
- ٢ - نساعد الطالب في الجامعة على إتقان اللغة التي تعلّمها في المرحلة الثانوية ونخصّه بدروس بتلك اللغة تتصل باختصاصه .
- ٣ - ندرج في الكتب المؤلفة والمترجمة المصطلحات الأجنبية وبجانها المقابلات العربية إما في متن النص أو في مسارد تُدرج في أواخر الكتب .



(١) الخوري (شحادة) : تدريس العلوم باللغة العربية في الوطن العربي . المجلة العربية للعلوم . ٦ (٥) ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .